# الليلة السابعة: البعد الروحي في الفكر الإمامي "حب الله ولذة الذكر"

## {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}

من الأبعاد التي اتسم بها الفكر الإمامي: محورية القرآن في الفكر الإمامي وهنا نتحدث في محاور ثلاثة:

### محاور المحاضرة:

1) **في حقيقة الإنسان وصفاته.**
2) **في استناد العبادة إلى جناحي الخوف والرجاء.**

### 1) في حقيقة الإنسان وصفاته.

لقد قسم الفلاسفة الوجود إلى ثلاثة أقسام:

- **الوجود النفسي:** وهو وجود الشيء في نفسه لنفسه، فوجود الإنسان في نفسه ومن أجلها.
- **الوجود الغيري:** وهو وجود الشيء في نفسه لكن لغيره، مثل العلم فهو وجود في نفسه لكنه لا يتحقق خارجاً إلا إذا كان محلاً يستقبله ويقع فيه وهو الإنسان مثلاً.
- **الوجود الرابط بينهما (النفسي والغيري):** فهو وجود لا نعي نفسه لأنه حقيقته الربط بين الوجودين.

هنا يقع تساءل: إذا قارنا بين الإنسان وبين الله فهل النسبة بين وجود الله والإنسان وجود نفسي أم لا؟

ذهب بعض الفلاسفة أن الإنسان له وجود نفسي بالمقارنة مع وجود الله لأن الفرق بينهما الفرق بين النقص والكمال، لأن وجود الإنسان وجود ناقص ومحدود لأنه امكاني. بينما وجود الله عين الكمال ولا المحدودية فهو مرتبة تامة، نظير النسبة بين نور المصباح ونور الشمس فنور المصباح نور ناقص ومحدود بينما نور الشمس نور كامل لا محدود.

لكن الفلاسفة المتألهين قالوا: أن وجود الإنسان بالنسبة لوجود الله إنما هو الربط فليس له وجود نفسي فهو بين الربط والتعلق والحاجة إلى الله سبحانه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ} فالإنسان بالنسبة إلى الله ارتباط محض وتعلق محض فإذا كان الإنسان هو الربط حينئذ يعيش الإنسان تزاوج بين الأضداد فكل لحظة الإنسان يموت ويحيا {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} وكذلك الإنسان يعيش لذة بألم فلا تمر على الإنسان لذة إلا ومعها ألم، فليس هناك لذة خالصة لأن الإنسان محدود وناقص فلذته محدودة. يعيش الاستقرار مع الزوجة لكنه يعيش القلق والخوف من فقدان هذا الاستقرار. فلو عاش لذة بلا ألم لم يشعر بهذه اللذة وهكذا، فهو يعيش تزاوجاً بين الحب والخوف ولأجل ذلك جاءت النصوص الشريفة عن أهل البيت (ع) ترشدنا أن الشخصية العبادية للإنسان مطابقة مع الشخصية الحقيقية فكما أن الشخصية الحقيقية للإنسان موت وألم وحب أيضاً العبادية لابد أن تكون خوف ورجاء فلا يمكن أن تكون خوفاً فقط ولا رجاء فقط. والإمام الحسن الزكي (ع) يخبرنا عن هذه الحقيقة ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً))

## 2) في استناد العبادة إلى جناحي الخوف والرجاء.

العبادة تعيش جناحين: جناح حب وجناح خوف:

❖ **جناح الحب**

محبة الله جناح ضروري للعبادة فهو له عدة عناصر:

- هل يمكن للإنسان أن يحب ذات الله عز وجل؟

بعض المتكلمين يقول لا يمكن حب الذات لأن الله ليس بحادث حتى يتعلق به الحب فالإنسان في الواقع يحب أفعاله فهو يحب ثوابه ورحمته ونعمه، لكن العرفاء يقولون أن الإنسان يحب الله وحبه ذاتياً فطرياً لأن الإنسان معلول لله فالله هو العلة والإنسان معلول، العلة الإلهية فياضة كاملة تهب الوجود فهي تعيش الكمال بينما الإنسان يعيش النقص والمحدودية لأنه عين الفقر والحاجة إلى الله فإذا أحسن الإنسان بنقصه ومحدوديته تولد له حب نحو الكمال وبما أن الله هو الكمال لأنه هو المعطي والمفيض للكمال فهناك حب فطري نحو الله، حب المحدود للامحدود، حب الفقير للغني وقال العرفاء طبع الإنسان بجبلته على الجمال والله هو الجمال {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ}.

- ما هي أقسام الحب؟

- حب *معلل:* هو الحب الذي يدور مدار المنفعة لأنك تخدمني أحبك {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}
- حب *مجرد:* لأنك أنت أحبك لا أنا، أنا أحبك ولو اقتضى حبك أن أضيع نفسي وهذا ما عبر عنه عابس "حب الحسين أجنني".
- حب *الله لنا:* الله قوة لا محدودة فلا يعقل من الانفعال والحب هو انفعال فكيف يكون ذلك؟ العرفاء يقولون الحب بين الكلمتين {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} لا يمكن لنا أن نحب الله إلا إذا احبك الله لأنه قال يحبهم أولا ومن ثم نستطيع أن نحبه فما معنى حب الله؟ حب الله لنا على ثلاث درجات:
  - درجة التجلي: وهو أول درجات حب الله لي فإنه يتجلى بجماله في قلبي فما معناه؟ معناه الانشراح، إذا صليت وإذا قرأت الدعاء والقرآن وكان في قلبك انشراح {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} ويقول {أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.
  - درجة الجذب: فهناك جذبات تمر علينا فنحن نشعر اننا لا نمل الصلاة إذا صلينا أو لا نسأم من الدعاء إذا قرأنا ونشعر في بعض الأحيان أننا لا نمل من البكاء على ذنوبنا {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ويقول الحسين (ع): ((أنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك)).
  - درجة سلب الحواس: أن يحبك الله إلى حد لا تنشغل حواسك إلا بالله في الحديث عن النبي (ص): ((ما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده الذي يبطش بها فلا يرى إلا أنا)) وكما عبر الإمام أمير المؤمنين(ع): ((ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده وفوقه وتحته وفيه)).

- الحب مراتب: حبي لك يخضع لدرجات
  - *الإستحسان:* ان تقدم إلي خدمة فأستحسن هذه الخدمة
  - *الميل القلبي:* اشعر أن في قلبي ميلاً نحوك
  - *الخلة:* ورد عن الصادق (ع): ((إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً)) الخليل هو من يتمكن حبه من قلبك.
  - *العشق:* ربما يقول الإنسان ان كلمة العشق هذه تناسب قاموس الحب الدنيوي، الحب الشهوي، ولا تنسجم مع قاموس الحب الإلهي، لكن الروايات عبرت بالعشق في الحب اللاإلهي، عن الباقر (ع): ((من عشق العبادة وعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي أصبح على يسر ام على عسر))
  - *الوله:* لا أسمع إلا صوت حبيبي ولا اتصور إلا صورة حبيبي فلا يلتذ إلى بذكر الله ونحن نقرا في دعاء كميل ((واجعل لساني بذكرك لهجا وقلبي بحبك متيما)).
  - *لذة الذكر:* العرفاء يقسمونه إلى درجات.
- درجات لذة الذكر:
  - *الذكر باللسان:* الشكر {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.
  - *الذكر بالقلب:* أن نتصور عظمة الله وقدرته وإبداعه.
  - *الذكر بالروح:* أن تشعر روحك العناية من الله وطعم رحمته عز وجل.
  - *الذكر بالسر:* المناجاة وصلاة الليل، فهذا الطعم اللذيذ والخفيف على الروح. فهو ذكر السر بحيث ابتعد عن أهلي وزوجتي واجلس في ظلام الليل بيني وبين ربي بحيث اتذكر ذنوبي واذكر الشريط المظلم الذي عشته في دنياي واتحسر وابكي على هذه الذنوب. يعبر الإمام أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين: ((أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنزن به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مرت آية فيها تشويق خفوا إليها طمعا وإذا مرت آية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول بذانهم)).
  - *الذكر الخفي:* وانت تقرأ الدعاء عن الإمام زين العابدين (ع): ((واستعملنا بالذكر الخفي والعمل المرضي)) بحيث إذا جلست في الصلاة صلاة الليل لا يكون ذكرك لساني وإنما يجب أن تتحرك كلك قلبك ولسانك ندماً وحسرة بحيث تبلغ الذكر الخفي فأمير المؤمنين (ع) إذا صلى يغشى عليه فهذه الحالة من حالات الذكر الخفي.

### ❖ جناح الخوف

الخوف قسمان:

- <u>خوف غريزي:</u> كخوف الإنسان من الأعداء والأمراض والمصائب وعلاجه التوكل على الله.
- <u>الخوف من الله:</u> وفيه مراتب:

- *مرتبة المقام:* {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} بحبه أدرك عظمة الله فأخافه وادرك علمه فأرهب بين يديه يقول الإمام الحسن (ع) عند وقوفه على باب المسجد يصفر لونه، ترتعد فرائصه يقولون ما بالك يا أبا محمد وأنت سيد شباب أهل الجنة؟ يقول اتدرون بأني أقف بين يدي من؟ إنني أقف بين يدي جبار الجبابرة وملك الملوك ((إلهي مسكينك ببابك أسيرك بفنائك يا محسن قد أتاك المسيء انت المحسن وانا المسيء يا محسن تجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم))
- *خوف الآخرة:* وهي التي نسيناها وارتكبنا المعاصي والذنوب {إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} في صحيحة أبي بصير نزل جبرئيل يوماً قاطباً عابساً على رسول الله فسأله النبي (ص) مالي أراك قاطباً عابساً قال الآن وضعت منافخ النار قال وما منافخ النار؟ قال إن الله أمر بالنار أن تنفخ ألف عام حتى ابيضت ونفخت ألف عام حتى احمرت ونفخت ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لو قطرت قطرة من ضريعها على شراب أهل الدنيا لمات الناس كلهم من نتن رائحتها.
- *الخوف من المستقبل:* بحيث اخاف من نفسي ان تنزلق ورد عن النبي (ص): ((ان المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدر ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ماذا يكسب فيه)) فلا يحمينا من الرذيلة إلا الخوف ولكن الخوف الدائم وهو الذي يحجزنا عن المعصية وهو الخوف الراسخ والمستقر. يقول الإمام الصادق (ع): ((خف الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) نحن نحتاج إلى رصيد من الخوف وهذا نكتسبه من سيرة أئمتنا (ع) فإذا واضبنا على هذه الأجواء الجمعية بقراءة الأدعية من الصحيفة السجادية ونحن نكتسب من الحسين (ع) كيف يعلمنا الخوف من الله عز وجل فهو يعلمنا الشعور بالغربة ((إلهي فبذنوبي فلا تفضحني وبسريرتي فلا تخزني وبعملي فلا تبتلني ونعمك فلا تسلبني...))